

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

السنة: الثالثة تاريخ عام

مقياس: تاريخ المشرق الإسلامي

الأستاذة : مزدور سمية

محاضرات مقياس تاريخ المشرق الإسلامي

السنة الجامعية: 2019 / 2020

محاضرة 01: علاقة العلويين بالدولة العباسية – تابع-

الإمام موسى الكاظم وعلاقته بالخلافة العباسية:

كان موسى الكاظم قد خلف أباه جعفر الصادق في الزعامة الروحية للشيعة الإمامية، وتولى ذلك سنة 148هـ/765م، وقد وصفته المصادر بالتقوى وصفاء السريرة، وكان يشبه أباه وجده في جنوحه للسلم، وتجنبه الظهور في النشاطات العامة حتى لا يثير شكوك السلطة.

لم يتدرج موسى الكاظم بشكل كبير في العلوم أو في تطوير آراء المذهب الإمامي على عكس والده، لكنه مع ذلك كسب ولاء الناس المتعاطفين مع آل البيت، ورغم ابتعاده عن مسرح الأحداث إلا أن كثرة الروايات حول ما يصله من أموال الخمس من أتباعه بحيث كونت له ثروة لا بأس بها في حياته جعلت السلطة العباسية تنظر إليه بعين الشك والريبة كونه يعد علوياً فاطمياً.

ومن ثم استدعاه الخليفة المهدي العباسي محمد المهدي إلى بغداد ووضعته تحت الإقامة الإجمالية ثم سمح له بالعودة إلى المدينة، كما أن موسى الكاظم لم يساهم في معركة فخ الشهيرة التي قادها الحسين بن علي الحسني في المدينة سنة 169هـ، ومن أبرز العوامل التي جعلت موسى الكاظم محل ريب عند السلطة العباسية هو نشاط فرقة من الغلاة تعرف بالفرقة الحسينية نسبة إلى الحسين بن أبي منصور والتي تدعوا للنصرة لآل الحسين كانت تحركت في عصر المهدي لكنها فشلت كباقي الحركات.

اتهم موسى الكاظم مرة أخرى في عصر الرشيد بسبب وشاية من البلاط العباسي فسجنه في البصرة ثم حول إلى بغداد، وتختلف الروايات حول موته قتلاً في سجن الرشيد أو أنه مات ميتة طبيعية، مع أن الرشيد تعمد أن يعرض جثته أمام الملاء حتى يتأكدوا خلوها من أي آثار للتعذيب ويبرأ ذمته، وحتى يؤمن الشيعة الغلاة بوفاته من جهة أخرى.

علي الرضا وولاية العهد من المأمون العباسي:

تصدر علي الرضا للزعامة الروحية للشيعة الإمامية أو الجعفرية بعد أبيه، وفي عهده اكتملت عقائد الشيعة الاثني عشرية إذ تنتسب إليه صحيفة تحتوي على نصوصا مذهبية بحثة عن الإمامة، وكان علي الرضا محل احترام وتقدير وعلى علاقة طيبة مع الخلفاء العباسيين، مما جعل المأمون يختاره وليا للعهد سنة 201هـ؛ فما هي دوافع هذه البيعة؟

من المعلوم أن المأمون هو أول خليفة يتخذ الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة، كما أنه تميز بسياسته التوفيقية اتجاه العلويين مما أدى به لاختيار علي الرضا لولاية العهد سنة 201هـ.

كما أن التقارب بين مذهب الاعتزال والعلويين ربما له دور مهم فقد عرف واصل بن عطاء بصداقته لمحمد بن الحنفية، وتتلذذ على يديه زيد بن علي، كما أن المعتزلة أيدوا ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم فأبرز الشخصيات المعتزلية كانت ذات ميولات علوية أيضا .

ومن جهة أخرى تشير بعض الآراء أن وجود الفضل بن سهل، الذي وصل إلى السلطة بدفع من البرامكة المعروفين بميولاتهم العلوية ساعد في اختيار علي الرضا لولاية العهد، خاصة وأن أغلب المصادر تتهمه بمحاولة السيطرة على الخليفة وتحويل السلطة من أيدي العباسيين إلى العلويين لأن ارتباطاته الشيعية هي من دفعته لذلك.

وقد حاول بعض المؤرخين توضيح الأسباب التي كانت وراء هذه البيعة وهي:

- دور الفضل بن سهل الرئيسي في البيعة والذي يهدف من ورائها إرجاع سلطة الفرس إذ كان أغلبهم على مذهب الشيعة.
- إن انتصار المأمون في حربه مع الأمين كان ضربة لبني العباس أخوال الأمين وبالتالي فقد المأمون ثقتهم ولهذا حاول كسب الفرع الهاشمي الآخر وهو الفرع العلوي.
- وهناك من يعتقد بأن المأمون كان له ميلا عاطفيا للعلويين وذلك مما دفعه ليباع علي الرضا.

- بعد الحرب الأهلية التي حدثت بين الأمين والمأمون أراد هذا الأخير وبعد تسلمه الحكم أن يخلق جو من الاستقرار ومحاولة التوفيق بين السلطة والمعارضة فاختر ولي عهده علي وسماه الرضا ليكون الخليفة من بعده.
- المصادر الشيعة الإمامية تذكر هدف المأمون من هذه البيعة أنه أراد أن يري الناس أن علي الرضا راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم.
- كذلك تقول أن المأمون كان يعتقد أن الرضا يدعوا لنفسه سرا فأراد أن يجعله ولي عهده ليعترف بالخلافة والملك له.
- وسبب آخر تذكره المصادر أن المأمون بحث بين بني العباس وبين العلويين فلم يجد شخصا أحسن خلقا وعلما وزهدا من علي الرضا.

في الحقيقة لم تكن لعلي الرضا أي نشاطات سياسية بل جل اهتمامه كان في العلم، وتمت بيعته في المدينة بحضور الخليفة وشهود، وغير المأمون بعد ذلك شعار الدولة من السواد إلى الخضرة - وهو شعار الجنة وأهلها- ويرمز إلى المحبة والتسامح والتوفيق، وضرب السكة باسم ولي العهد الجديد، ولم يتوقف المأمون عند ذلك بل صاهر علي الرضا وزوجه إحدى بناته.

وبهذه البيعة يكون المأمون قد حرم أخوه المعتصم من ولاية العهد التي هي من حقه بحسب أوامر الرشيد، وبذلك أحدثت هذه البيعة معارضة قوية بين العباسيين وأهل بغداد الذين لم يبايعوا ولم يلبسوا الخضرة، وحاولوا عزل المأمون وتعيين خليفة جديد وهو المنصور بن المهدي لكن هذا الأخير رفض فقرروا مبايعة إبراهيم بن المهدي وتلقب بالمبارك فبايعه كل الأمراء العباسيين وأهل بغداد سنة 212هـ وقررُوا مجابهة المأمون والدفاع عن حق العباسيين في الحكم رافعين شعار **"إبراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون"** مظهرين شعار السواد.

فخرج أهل بغداد وأعلنوا الثورة ضد المأمون رافضين هذه البيعة التي يعلمون أن الفضل بن سهل هو مدبرها فنادوا بأن لا يرضون بالمجوسي ابن المجوسي إشارة إليه، فأما كتلة المأمون في بغداد فكان يمثلها المنصور بن المهدي والحسن بن سهل أخوا الفضل وحמיד بن عبد الحميد الطوسي، وعندها انتقل المأمون إلى مرو، لكنه رجع إلى بغداد منتصرا والأهم من ذلك أنه عدل عن رأيه وألغى البيعة لعلي الرضا وعاد لشعار السواد، وآلت الخلافة من بعده إلى أخوه المعتصم كما أرادها والده الخليفة هارون الرشيد.

الشيعة الإمامية بعد وفاة جعفر الصادق:

حدث انشقاق في صفوف الشيعة الإمامية بعد وفاة الإمام جعفر الصادق فانقسمت إلى عدة أقسام أهمها هاذين الفرعين:

1- أتباع الصادق الأوائل:

وقد أطلق عليهم الإمامية أو في ما بعد الإثني عشرية؛ وهم أولئك الذين عقدوا بإمامة موسى الكاظم مؤكدين أن الصادق قد نص على ذلك رغم كون موسى الابن الأصغر، خاصة وأن إسماعيل الابن الأكبر قد توفي في حياة أبيه.

2- الإسماعلية: وتسمت بالسبعية أيضا لأنها تقول بأن الإمام السابع هو إسماعيل بن جعفر الصادق وذلك بنص من أبيه.

- بالنسبة للاتجاه الأول – الشيعة الإثني عشرية- فلقد أشرنا سابقا أن موسى الكاظم كان توفي في ظروف غامضة في سجن الرشيد؛ ثم أن غالبية أتباعه اعترفوا بأن الإمامة تؤول لأبنة علي الرضا باعتباره أفضل العلويين علما وخلقاً آنذاك؛ فصحيح أن مبادئ التشيع اكتملت في عهد الصادق مذهباً وعقيدة، إلا أن هذه العقائد صيغة على شكل نصوص في عهد علي الرضا.

وبعد موت علي الرضا كان ابنه محمد الجواد في السابعة من عمره فأثار الشيعة مسألة إمامة الصبية واختلفوا في هذا الشأن، أما أتباعه فقد أكدوا علمه وعصمته، وهنا صارت العصمة مبدأ أساسياً من مبادئ الشيعة الإمامية، ومات محمد الجواد سنة 219هـ، وعمره 25 سنة.

فالتفت الشيعة الإمامية بعد وفاته حول ابنه علي الهادي ونادوا بإمامته بعد أبيه، وقد عاش علي الهادي في خلافة المتوكل المعروف بتشدده مع الشيعة العلوية مما جعله يضغط على علي الهادي ويستجوبه في العديد من المرات.

وبعد وفاة علي الهادي سنة 254هـ في خلافة المعتز خلفه على الإمامة ابنه الحسن العسكري، لكن ما لبث أن توفي وعمره 29 سنة، بحيث تشير بعض الروايات أن الخليفة المعتز كان قد دس له السم.

وقد اختلفت الشيعة من بعده، على أن الشيعة الإمامية تعترف بابن له وهو محمد المهدي المنتظر الذي اختفى سنة 260هـ إماماً، وتؤمن برجعته إلى الأرض ليملاًها عدلاً ولقبوه بالحي وصاحب الزمان والمهدي.

الفرقة الإسماعيلية وانقسامها:

سبق وأن أشرنا أنه بعد موت الإمام جعفر الصادق أن الإسماعيلية تمسكت بحق إمامة إسماعيل الابن الأكبر للصادق غير أن هذه الفرقة انقسمت بعد ذلك أيضا إلى:

- فرقة تدعوا إلى إمامة محمد بن إسماعيل وانتظرته مهديا يرجع وهم القرامطة.
- فرقة اعترفت بسلسلة متصلة من الأئمة من نسل إسماعيل وأولاده من بعده وهؤلاء هم الذين أسسوا الدولة الفاطمية.

وبالنسبة للدولة الفاطمية فتشير الروايات التاريخية إلى أن ميمون القداح وابنه عبد الله كانا من أوائل من بدئوا بنشر الدعوة الإسماعيلية، وكان ميمون هذا مولى للصادق، ترأس الدعوة بعد أبي الخطاب الأسدي - تلميذه- في الأحواز أولا ثم في قرية سلمية من بلاد الشام .

وباعتبار الظروف السياسية وملاحقة السلطة العباسية للعلويين ظهر عند الشيعة فرعين من الإمامة:

- سلسلة من الأئمة المستورين (المستقرين) بين محمد بن إسماعيل ومحمد القائم وهم الأئمة الحقيقيين الذين تنتقل الخلافة في نسلهم.

- أئمة مستودعين وهم دعاة ينشرون الدعوة والإمامة لا تكون في نسلهم، ومن هؤلاء ميمون القداح وأبنائه، وهناك فرضيات تشير بأن عبيد الله الفاطمي كان آخر الأئمة المستودعين وكان قداحيا وليس فاطميا، أما محمد القائم الذي استلم الإمامة من بعده فهو الإمام الفاطمي المستقر.

المصادر والمراجع:

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك
- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي.
- الأصفهاني: مقاتل الطالبين.
- الشهرستاني: الملل والنحل.
- نبيلة عبد المنعم داود: نشأة الشيعة الإمامية
- مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية.
- النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.

محاضرة 02 : المعتزلة والقول بخلق القرآن في العصر العباسي

قبل أن نخوض في هذا الموضوع حري بنا أن نعرف هذه الفرقة بصفاتها من أوائل الفرق الكلامية التي ظهرت في تاريخ الدولة الإسلامية، اختلفت الآراء حول أصل منشئها، لكنهم اتفقوا في مجملهم على أنها فرقة كلامية تعتمد في تفسيرها للقرآن وأحكام الشريعة على العقل والفلسفة.

ويذهب فريق في تفسيرهم إلى ما ورد عن المعتزلة عند البغدادي والشهرستاني على أن كلمة معتزلة أطلقها المخالفون من أهل السنة للدلالة على أنهم انفصلوا عنهم وتركوا مشايخهم واعتزلوا الأمة بأسرها حول مرتكب الكبيرة.

أما الشهرستاني في كتابه فيورد حول أصل هذه الفرقة ما دار في مجلس الحسن البصري (ت110 هـ) بالنسبة لمرتكب الكبيرة بعد أن اختلفت الآراء، كان رأي واصل بن عطاء الغزال مختلفا تماما وقال بالمنزلة بين المنزلتين أي أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد فقال الحسن: اعتزلنا واصل فسمي وأصحابه بالمعتزلة.

بينما نجد رأي آخر يرجع أصل هذه الفرقة بأنهم الجماعة الذين لم يشتركوا لا في حرب الجمل ولا في صفين والتزموا الحياد في الصراع بين معاوية وعلي، وهناك رأي آخر ذهب إليه أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام "على أن المعتزلة من الفرق اليهودية التي كانت منتشرة في ذلك العصر، ومن طائفة يقال لها "الفورشيم" ومعناها المعتزلة، بحيث كانت هذه الفرقة تتكلم في القدر وتقول "ليس كل الأفعال خلقها الله" بالإضافة إلى التشابه الحاصل بين المعتزلة اليهود والمعتزلة المسلمين، فاليهود المعتزلة يفسرون التوراة بمقتضى منطق الفلاسفة وكذلك المعتزلة المسلمون يفسرون القرآن على مقتضى منطق الفلاسفة.

وكذلك اختلفت الروايات في حادثة الانفصال فبعضها تنسبه إلى عمر بن عبيد الله، وبعض الآخر ينسبها إلى واصل بن عطاء، لكن ما هو مهم أنهم خالفوا حول مرتكب الكبيرة في أنه لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين فلذلك أطلق عليهم بالمعتزلة.

وقد أطلقت عليهم تسميات عديدة منها: "الجهمية" وأطلقها عليهم أهل السنة، وتنسب إلى جهم بن صفوان، لكن أتباع هؤلاء أشد تعطيلا لأنهم نفوا الصفات والأسماء في حين تنفي المعتزلة الصفات.

ويطلق عليهم كذلك اسم "القدرية" وذلك لأنهم قالوا بقدرة الناس على أفعالهم وأن الله ليس له فيها تقدير، وأطلق عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم مجوس الأمة، وسمو بمخانيث الخوارج لأنهم ائتركوا مع الخوارج (واصل وعمرو ابن عبيد) في تخليد مرتكب الكبيرة في النار بالرغم من قولهم بأنه غير كافر.

وأطلق عليهم اسم الوعيدية التي جاءت من أحد أهم الأركان عندهم وهو الوعد والوعيد، وسميت كذلك بالمعطلة لتعطيلها صفات الله تعالى أي تجردها من الله تعالى، ويقول الشهرستاني في أن التعطيل هو تعطيل ظواهر الكتاب والسنة، وكذلك سمو بأهل العدل والتوحيد (العدل: نفي القدر، التوحيد: نفي الصفات القديمة)، وسمو بأهل الحق أو الفرقة الناجية أيضا.

أما مبادئ المعتزلة فهي خمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وانقسمت المعتزلة إلى فرقتين أهمها:

الواصلية: أتباع واصل بن عطاء المتوفى 131هـ الذي اعتزل والحسن البصري القائل أنم خالفوهم مشركون وأحلو قتل الأطفال والنساء.

العمروية: أتباع عمرو بن عبيد (ت 142هـ) الذي اتفق مع واصل في فكرة القدر والمنزلة بين المنزلتين، إلا أن عمرو قال بفسق الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل.

الهديلية: نسبة إلى أبي هذيل العلاف المعروف بكثرة فضائحه حتى كفرته معظم فرق المعتزلة.

النظامية: أتباع إبراهيم بن يسار المعروف بالنظام .

العباسيون ومذهب الاعتزال :

في الحقيقة لم يكن للعباسيين ميولات مذهبية واضحة بالرغم من ميلهم القوي إلى أهل الحديث وأقاموا علاقات شخصية قوية مع الكثير منهم .

وحين جاء المأمون إلى الخلافة وبحكم ميله إلى العلم والثقافة قرب إليه الفلاسفة والمتكلمين والعلماء وجمعهم في بلاطه يتدارسون القرآن والحديث والفقه والمسائل المتفرعة منها كما حرص بشكل كبير على ترجمة علوم الأوائل وبذلك أبدى المأمون إعجابه بأراء المعتزلة وبأدلتهم العقلية والنقلية وأصبح أحد كبار المعتزلة وهو أحمد بن أبي داود من أبرز المنتفدين في بلاط المأمون على غرار ثمامة بن الأشرس المعتزلي.

وكان أبو هذيل العلاف 235هـ من أهم المعتزلة الذين عاشوا في عصر المأمون وكذلك إبراهيم بن سيار النظام ت 221هـ الذي كانت له منزلة كبيرة عند المأمون، أما الجاحظ كان تلميذ النظام في الاعتزال واشد المدافعين في كتبه ورسائله المعرفة عن النظام العباسي ومذهبه الرسمي ومن المدافعين عن فكرة خلق القرآن.

ومن رؤساء المعتزلة زمن المأمون أيضا بشر بن المعتز (ت 210هـ) غير أنه لم يكن له بروزا في السياسة، لكن تلميذاه ثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبي داود زمن المأمون نشاط سياسي معتبر، فقد سجن ثمامة في زمن الرشيد لكن اطلق سراحه وبرء من تهمة الزندقة، كما عرض عليه المأمون منصب الوزير فرفض بحكم أنه لا تتوهم منزلة من يتولاها، لكنه كان من يشير على الخليفة تعين من، كما كان له دور هام في المناظرات مما زاد من حظوته لدى المأمون .

كما يعتبر أحمد بن أبي داود الأيادي (240هـ) من أقوى الشخصيات الاعتزالية في عصر المأمون، إضافة إلى كرمه وكان ميالا للعرب مصطنعا لهم، كما أوصى المأمون المعتصم بتقريبه واستشارته، فعينه هذا الأخير قاضيا للقضاة وأشتهر في ذلك زمن حكم الواثق .

ولعل هذه الشخصية كانت من أبرز المدبرين لمحنة خلق القرآن فما إن تولى القضاء سنة (217هـ)، حتى جعل الخليفة مذهب المعتزلة بعد ذلك مذهباً رسمياً للدولة سنة (218هـ)؛ ولم يكتف بذلك بل أصدر منشورا إلى والي بغداد يأمر فيه الولاية بحمل الناس على القول بخلق القرآن، فبدأ زمن المحنة، وهي لحظة حاسمة في تاريخ الدولة العباسية وفي تاريخ المذهب الاعتزالي نفسه؛ فما هي أبرز حيثيات هذه المحنة ؟

ان خلق القرآن هي من أبرز المسائل التي تعتقد بها فرقة المعتزلة وذلك انطلاقا من مبدأ نفيها صفات المعاني عن الله سبحانه وتعالى ومنها الكلام، فالقرآن مخلوق

لأنه مجموعة من الحروف والأصوات يخلقها الله، ولا يمكن اعتباره قديما وغير مخلوق لأن ذلك يؤدي إلى مشاركة القرآن صفة من صفات الله وهي القدم والأزلية.

عارض أهل الحديث بشدة هذه الفكرة، لكن المعتزلة شددوا في مواقفهم وقد حرمت السلطة العباسية كل من لا ينقاد إلى مذهبها من الشهادة أو التعيين في المناصب الإدارية والقضائية، وقد انقاد بعض كبار المحدثين ووافقوا المأمون على رأيه خوفا من السلطة، في حين برز أحمد بن حنبل زعيما للمعارضة في آخر أيام المأمون، وامتحنه والي بغداد في خلق القرآن فلم يرضخ، وأصر على أنه كلام الله، ولم يرد على قوله هذا شيء، ولذلك سجن بقية عهد المأمون.

وسار الخليفة المعتصم (218-227هـ) بسيرة أخيه المأمون الذي أوصاه "وخذ بسيرة أخيك في القرآن"، وتشدد المعتصم في سياسة المحنة، وقتل بعض الفقهاء في زمانه، وضرب أحمد بن حنبل سنة 220هـ، ثم أخرج الخليفة من السجن وناظره العلماء المعتزلة بحضرته لمدة ثلاثة أيام وقد ضربه الخليفة 38 مرة بالسوط حتى سال الدم منه، بالرغم من أن هناك من أشار بقتله لكن الخليفة اكتف بضربه وأطلق سراحه، لعل سبب ذلك خوف المعتصم من وقوع فتنة خاصة وأن هناك روايات تقول بخروج الناس ملتفين حول أحمد بن حنبل فخاف المعتصم، أو ربما قد يكون المعتصم عسكريا شجاعا قد أعجب بشخصية أحمد بن حنبل وشجاعته.

ولقد نهج الوراق (227-232هـ) أبيه وعمه الاعتزالية وبالغ في القول بخلق القرآن حتى تمردت عليه جماعة من أهل بغداد يعرفون بأهل الحديث سنة 231هـ بزعامة أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، لكن السلطة أجهضت هذه الحركة وألقي القبض على زعيمها وتمت محاكمته بتهمة نشر آراء مخالفة لعقيدة الدولة في جلسة رسمية، وحكم عليه أحمد بن أبي داود بالموت فاقتلع رأسه من جنته.

وقد أسرف الوراق في سياسته الاعتزالية فكتب إلى قضاة الأقاليم بامتحان الناس في خلق القرآن ولا يقبلوا إلا شهادة من قال بالتوحيد، وفي سنة 231هـ امتحن أهل الثغور، وضربت أعناق أربعة أشخاص هناك، بل وصل به الحد حين حصل الفداء لم يقيم بفداء من خالف سياسة السلطة الاعتزالية، ولعله هذا التشدد كان له صدى كبير في نفوس الناس فيقول المسعودي في ذلك: "شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم وأوجد لهم السبيل إلى الطعن عليه".

لم تدم سيطرة المذهب الاعتزالي مدة طويلة فباعثت أخ الوراق الخلافة المتوكل على الله (232-247هـ) حتى وضع حدا لهذه المحنة، ففي سنة 234هـ

أصدر مرسوما أعلن فيه انتهاء المحنة وفرض حضرا على المناقشة بشأن طبيعة القرآن من حيث كونه مخلوق أو غير مخلوق، في حين لم يصدر المتوكل أمر بالقضاء على رؤوس المعتزلة بل تعامل معهم بسياسة معتدلة بل أبقى البعض منهم في مناصبهم مدة من الزمن، والبعض من عزلهم كان بسبب سوء تصرفاتهم وليس بسبب اعتزالهم.

المصادر:

- الشهرستاني: الملل والنحل.
- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
- المسعودي: مروج الذهب.
- الطبري: الرسل والملوك.

محاضرة 03: إمارة الأغلبية واستمرار فتنة خلق القرآن في الجناح الغربي من الدولة الإسلامية

تأسيس الإمارة الأغلبية: (184-296هـ):

شهد المغرب الإسلامي ومنذ النصف الأول من القرن 2هـ، ولعدة أسباب منها بعده عن مركز الخلافة العباسية ظهور إمارات مستقلة عن مركز الخلافة معادية لها في كثير من الأحيان، بداية كان الأمر مع الإمارة الأموية في الأندلس التي أسسها أحد الأمويين الفارين من الثورة العباسية؛ وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سنة 138هـ/744م، ثم تلتها تأسيس إمارة خارجية صفرية في سجلماسة بالسوس الأقصى سنة 140هـ/757م على يد أحد زعماء قبيلة كنانة البربرية، ثم إمارة تيهرت الإباضية على يد عبد الرحمن بن رستم سنة 161هـ/778م ثم أنشأت بعد ذلك إمارة علوية في المغرب الأقصى على يد أحد العلويين الفارين من موقعة فخ الواقعة سنة 169هـ/785م، وهو إدريس بن عبد الله بن حسن العلوي سنة 172هـ/785م.

وإزاء وجوه هذه الإمارات لم يكن الوضع يدعو للاطمئنان في المغرب آنذاك، فكان لزاما على الخلافة العباسية خلق توازن سياسي فبارك هارون الرشيد لتأسيس إمارة على يد أحد عماله على بلاد الزاب وهو إبراهيم بن الأغلب التميمي سنة 184هـ/860م حتى تكون حاجزا طبيعيا يقف أمام أي نشاط ادريسي أو خارجي يهدد المشرق.

إن تأسيس هذه الإمارة قد سبقته جملة من الظروف السياسية تميزت بكثرة الاضطرابات والفتن في افريقية، ولهذا كلف هارون الرشيد سنة (170هـ-193م/174هـ-909م) أحد أهم قادته هو هرثمة بن أعين بولاية افريقية وقيادة جيشها سنة 179هـ-795م، لكي يعمل على إخماد الفتن بها.

بالرغم من أن ولاية هرثمة بن أعين في افريقية دامت سنتين ونصف إلا أنه لم يستطع القضاء على الفتن فيها فأعفاه الرشيد من منصبه وطلب منه العودة إلى العراق وعين مكانه محمد بن مقاتل العكي سنة 181هـ/797م.

لم يكن محمد بن مقاتل بالوالي الكفاء فلم يوفق إلى حد بعيد في إدارة شؤون بلاد المغرب، فواجه نتيجة ذلك مجموعة من المشاكل أولها اختلاف الجند عليه لإنقاص رواتبهم، ناهيك عن التصرفات التي لم تلقي استحسانا لدي العامة ولدى

الفقهاء أبرزهم البهلول بن راشد الذي عارض تصرفاته خصوصا عندما أمد الروم في صقلية بالأسلحة.

إن معارضة هذا الفقيه أفضت في الأخير إلى ضربه بالسياط حتى الموت من قبل الوالي محمد بن مقاتل وهذا ما أثار سخط الفقهاء والعلماء والعامّة على حد سواء، ما لبث أن خرج عليه عامله بتونس تمام بن تميم التميمي الذي زحف إلى القيروان سنة 183هـ ودارت بينه وبين الوالي معركة انتهت بنصر تميم وإعلان حكمه، وأعطى الأمان لمحمد بن مقاتل حتى خرج إلى طرابلس.

إن هذا الانقلاب أثار غضب إبراهيم بن الأغلب التميمي فجمع جيشا من الزاب وتحرك إلى القيروان فدخلها، بعد أن فر منها تمام إلى تونس وبها خطب إبراهيم خطبة في الناس يذكرهم أن محمد بن مقاتل هو الأمير الشرعي لبلاد المغرب وأنه جاء لنصرته، وهكذا أقر إبراهيم الوالي في منصبه من جديد.

غير أن أهل تونس سئموا من ولاية مقاتل فأرسل جماعة منهم إلى إبراهيم وطلبوا منه أن يتولى شؤونهم بدلا من ابن مقاتل وحملوه أن يكتب إلى الرشيد طلبا منه أن يقره على ولاية إفريقية، فكتب إليه يطلب منه ذلك مقابل التنازل عن 100 ألف دينار التي يرسلها والي مصر كمعونة لبلاد المغرب كل عام، وأن يرسل له 40 ألف دينار كل سنة فوافق الرشيد طلبه بعد أن استشار هرثمة بن أعين الذي شجعه على ذلك، وبذلك يكون إبراهيم بن الأغلب أول مؤسس للإمارة الأغلبية التابعة للحكم العباسي والتي امتدت من سنة (184- 296هـ) وتداول على حكمها 11 أميرا وهي إمارة ذات طابع وراثي في الحكم.

- إبراهيم بن الأغلب: مؤسس الإمارة: 184-196هـ/800-811م

كان لمؤهلات إبراهيم بن الأغلب الدينية والعسكرية عاملا أساسيا لاختياره على تولية بلاد المغرب، كان حافظا للقرآن فقيها عالما ميالا لأهل السنة والجماعة ففي عصره برز عدد كبير من العلماء والفقهاء وعملوا على إرساء قاعدة قوية للمذهب المالكي وتصدوا لكل أصحاب الأهواء والبدع كالخوارج والشيعية، وبرزت نهضة عمرانية في عصره فبني مدينة العباسية واتخذها عاصمة لدولته سنة 185هـ وعمرها وصار بها أسواق وحمامات وفنادق وجامع، واجه إبراهيم زمن حكمه العديد من الثورات أبرزها ثورة حمديس القيسي بتونس سنة 186هـ/802م، وثورة في طرابلس سنة (189هـ - 805م).

ولاية أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلّب: 196-201هـ/812-817م

كانت ولايته من قبل المأمون في سنة مات فيها إبراهيم بن الأغلّب المذكور، حينها كان الأمين محصورا ببغداد في آخر أيامه، ولما خلع الأمين واستلم المأمون الخلافة جاءت الكتب بالطاعة والبيعة، أرسل له من جهة إفريقية كتاب يعلمه بوفاة إبراهيم فكتب المأمون إلى ولده أبي العباس مكان أبيه، وبعد سنتين من حكمه ثار عليه أحد قادته جنده وهو منصور الطنبدي ودامت الثورة حوالي 12 شهرا انتصر له فيها أبو العباس على الطنبدي ثم استقام له الأمر حتى توفي سنة 202هـ في خلافة المأمون.

ولاية أبو محمد زيادة الله الأول بن إبراهيم: 201-223هـ/817-839م.

تولى الإمارة بعد وفاة أخيه، وكانت ولايته أيضا من قبل المأمون فطالت أيامه وبني سور القيروان، وجامعها بعد أن هدم ما عدا محرابه، وبني قنطرة باب الربيع، وحصن الرباط بسوسة، وفتح أيامه جزيرة صقلية على يد قاضيه أسد بن الفرات بالرغم من ذلك كان عهده مليئا بالفتن والثورات نتيجة سوء معاملته للرعية، وتشدده مع الجند وسفك دمائهم، ولما توفي زيادة الله الأول سنة 223هـ/837م تولى أخوه أبي العقال الإمارة مكانه.

- ولاية أبو عقال الأغلّب بن إبراهيم: 223-226هـ/838-841م

وكانت ولايته من قبل المعتصم بالله، وكان الأمير على صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلّب، اهتم أبو العقال بشؤون رعيته وعمل على إقرار الأمن والدين، وقبض أيدي العمال على الرعية بأن وسع لهم في الرزق وقطع النبيذ عن القيروان وعاقب على بيعه وشربه، ولم تطل أيامه وتوفي سنة 226هـ في خلافة المعتصم.

- ولاية أبو العباس محمد بن الأغلّب: 226-242هـ/841-896م

وكانت ولايته أيضا من قبل المعتصم، خلفا لوالده حيث أمنت السبل في أيامه، وكان على عهد الإمام سحنون بن سعيد التتوخي الذي شنت أهل الأهواء ومنعهم من المناظرة في المسجد الجامع، وقد ساد عهده ثورات كثيرة أهمها محاولة أخيه الانقلاب عليه وأخذ الإمارة منه سنة 232هـ/846م إلا أن أبي العباس استطاع إخماد هذه الانقلاب ونفي أخاه إلى العراق، وتوفي سنة 242هـ خلفه في الحكم ابنه أبي إبراهيم أحمد بن محمد.

ولاية أبو إبراهيم أحمد بن محمد: 242-249هـ/856-863م

وكانت ولايته من طرف الخليفة المتوكل على الله، وخرج عليه أهل تونس، فغزاهم وسبا منهم خلق كثيرا، وللإمام سحنون معه واقعة مشهورة حول السبيات التونسية في داره، ومنع التصرف فيهن فبعث الأمير أبي إبراهيم في ردهن فأقسم سحنون بأن لا يردهن مادام قاضيا وإلا ينصرف عن القضاء فكف عنه الأمير وتراجع في ذلك وكانت فترة حكمه قصيرة حيث توفي سنة 249هـ ومن أهم أعماله الزيادة في جامع القيروان والمسجد والجامع بتونس وبناء سور سوسة.

ولاية أبو محمد زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلبن: 249-250هـ/863-864م

وجاءت ولايته بعد أخيه من قبل الخليفة المستعين بالله، ولم تطل أيامه وتوفي بعد سنة واحدة من حكمه أي سنة 250هـ/884م.

- ولاية محمد الثاني بن أحمد الملقب بأبي الغرائق: 250-261هـ/864-875م

كان خلفا لعمه من قبل الخليفة العباسي المستعين بالله وكان حسن السيرة مع الرعية مسرفا في العطاء، واشتغل بالملذات، لكن تواصلت في عهده الفتوحات في جزيرة صقلية، وتوالي الولاة عليها ولما توفي سنة 261هـ خلفه في الحكم أخوه إبراهيم الثاني.

- ولاية إبراهيم بن أحمد: 261-289هـ/875-902م

كانت ولايته من قبل المعتمد على الله، وكان ذو فطنة عظيمة بالرغم من سوء الأوضاع الناتجة عن تصرفات أخيه السابق وانغماسه في حياة اللهو إلا أنه استطاع النهوض بالإمارة وشيد العديد من القصور والحدائق وبني مدينة رقاد سنة 269هـ/876م وفتح مدينة سرقوسة سنة 274هـ/876م واستولى على العديد من مدن إيطاليا الجنوبية، وكانت وفاة إبراهيم الثاني سنة 289هـ/901م فتولى الحكم بعده ابنه أبي العباس عبد الله بن إبراهيم.

أبو العباس بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلبن: 289-290هـ/901-902م

كانت ولايته من قبل المكتفي بالله ولم تدم إلا بضع شهور وكان حسن السيرة عادلا، وقد حبس ولده زيادة الله على شرب الخمر، فكره زيادة الله ذلك واتفق مع ثلاثة من موالى أبيه الصقالبة على قتله فأجابوه إلى ذلك وقتلوه، فأخرج من السجن وقدم للبيعة وولى بعد أبيه.

- ولاية زيادة الله الثالث بن عبد الله بن إبراهيم: 290-296هـ/903-909م

وكانت ولايته في خلافة المقتدر بالله كان سيء السيرة متغافل عن المصالح البلاد وانغمس في حياة اللهو والشرب، وفي أيامه قوي أمر أبي عبد الله الشيعي القائم بالدعوة الفاطمية في المغرب، فانشغل زيادة الله الثالث بمقاومة الخطر الشيعي فحاول القضاء عليه في معركة الأربس سنة 296هـ لكن النصر كان حليفاً للفاطميين وفر زيادة الله الثالث بأمواله وعائلته إلى المشرق.

وكان هذا الأمير آخر الأمراء الأغلبية حيث كانت البلاد تتساقط في يد الشيعة الفاطميون حتى تمكنوا من دخول عاصمة الأغلبية رقادة سنة 296هـ وسقط بعد ذلك حكمهم في إفريقية.

الأغلبية وفكرة الاعتزال وخلق القرآن

من المعلوم أن الإمارة الأغلبية قد اتخذت المذهب الحنفي مذهباً رسمياً لها وذلك تماشياً لما كان معمولاً به في الدول العباسية حيث كان المذهب الحنفي مذهب السلطة الرسمي منذ زمن خلافة هارون الرشيد إلى الواثق، وتواصلت غلبة المذهب الحنفي في إفريقية بتوليه قضاة أحناف منصب القضاء فكان الأمراء يولون قاضي حنفي وقاضي مالكي، بالرغم من أن المذهب الحنفي في إفريقية كان مذهب الخاصة من كبار التجار ورجال الدولة، بينما كان المذهب السني المالكي مذهب العامة وكبار مالكي الأراضي من الموالي.

ومما لا شك فيه أن هناك تقارب بين الأحناف والمعتزلة، هؤلاء الذين كان لهم قرب من الدولة العباسية حيث شاركوا في الثورة العباسية، ويعد عمرو بن عبيد من أبرز علمائهم ومن أكبر المقربين للخليفة أبي جعفر المنصور، بالرغم من منع الرشيد للجدال أو تسرب الفكر الاعتزالي كانت الأسرة البرمكية تحتضن البعض من الرموز المعتزلة.

لكن الأمر تغير مع المأمون وانفتح على هذه الفرقة وتقبل آرائها حتى أصبح أحد أبرز علمائها وهو ثمامه بن أشرس من أكبر مستشاري المأمون، أما مع المعتصم والواثق فقد زاد نفوذ المعتزلة خاصة بتولي أحمد بن أبي داود القضاء، والذي أصبح مشرفاً على نشر القول بخلق القرآن.

إن وجود التيار الاعتزالي في إفريقية يعود إلى منتصف القرن 2هـ حيث كان العراقيون يتناظرون في الاعتزال في سقيفة العراقي، وقد رمي عبد الله بن فروخ

بشيء من القدر، وكان صخر المعتزلي من رؤوس الاعتزال في افريقية قبل وفاة بن فروخ سنة 175هـ، وكان ابن الفرات قد ضرب سليمان الفراء لأنه أنكر رؤية الله يوم القيامة.

لقد كان المعتصم مخلصا لسياسة أخيه المأمون، فلا ريب أنه من بث الأمر في الولايات، وكتب الأمر إلى نائبه على مصر بامتحان الناس في خلق القرآن أما في افريقية فقد كانت بداية الأمر مع تولي ابن أبي الجواد القضاء حيث بدأ النزاع المذهبي بين المعتزلة وأهل السنة حول مسألة خلق القرآن فشاعت المناظرات بين الطرفين وبالرغم من صدور قرار المتوكل الذي جاء إلى الخلافة سنة 232هـ/846م فكتب إلى الأفاق كتبا ينهي فيها عن المناظرة والجدل، فأمسك الناس.

إلا أن الأمر لم يحسم بعد في افريقية بسبب رعي الأمراء الأغلبية للمذهب الحنفي فضلا عن أنهم كانوا معتزلة في اعتقادهم، كما أن منصب القضاء كان بيد رجال أحناف معتزلة، ومن ثم لم يوضع حد لهذه المسألة إلا زمن إمارة أبو مضر زيادة الله الثالث حيث عزل عن القضاء الصديني القائل بخلق القرآن وولى مكانه حماس بن مروان الهمداني، فكتب كتابا إلى أهل القيروان يقول فيه: **(إني قد عزلت فيكم الجافي الجلف، المبتدع المتعسف ووليت القضاء حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة)**

إن هذه الصحوة وإن كانت متأخرة عن المشرق إلا أنها أثبتت فشل الاعتزال في المغرب أيضا ومنه فشل المذهب الحنفي الذي مذهب الخاصة أمام المذهب السني المالكي الذي هو مذهب العامة أو النخبة المأثرة في البلاط الأغلب.

المصادر والمراجع:

- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة.
- ابن الاثير: الكامل في التاريخ.
- الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب.
- ابن عذاري: البيان المغرب.
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام.
- النويري: نهاية الأرب.
- القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة.
- أبو العرب التميمي: طبقات علماء افريقية.
- الذهبي: تاريخ الإسلام.
- المالكي: رياض النفوس.
- محمد طالبي: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م.
- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته.
- حبيب الجحاني: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي.
- عبد العزيز بن سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.
- العروي: مجمل تاريخ المغرب.

محاضرة 04: الدويلات المستقلة في المشرق

1- الدولة الحمدانية (317 - 394هـ / 929 - 1003م)

تمهيد:

ترجع بدايات ظهور الدويلات المستقلة إلى العصر العباسي الأول، إلا أنها لم تنفشى بشكل عام إلا في العصر العباسي الثاني، وهي لم تقتصر على مجال جغرافي محدد من العالم الإسلامي بل شملت المشرق والمغرب على حد سواء، وان كان بداية ظهورها في المغرب أولاً، على اعتبار أنه كان مركز قوة الدولة الأموية، في حين كان المشرق مركزا المعارضة للحكم الأموي، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فقد شكل المغرب المجال الخصب لبعض المذاهب كالثيعة والخوارج لنشر مذهبها بعد أن فشلت في المشرق، ومن ثم تكلفت جهودها الدعوية بالنجاح في تأسيس دويلات معارضة للخلافة العباسية.

في حين عرف المشرق بعد المغرب تأسيس دويلات مستقلة وذلك نتيجة لازدياد نفوذ القادة الأتراك وضعف الخلفاء العباسيين في العصر الثاني، هذا ما فتح المجال أمام العديد من القادة الطامعين لانتزاع أجزاء من الدولة العباسية والاستقلال عنها.

إضافة إلى طموح بعض القادة الأتراك في الاستقلال، يرى بعض المؤرخين أن سبب ظهور بعض الدويلات في المشرق يعود إلى استياء العناصر التي فقدت نفوذها في العصر العباسي الثاني؛ كالعرب والفرس خاصة مع تزايد النفوذ التركي، وقد أظهرت هذه العناصر سخطها في البداية بقيامها بثورات عديدة لم يقدر لها النجاح في زمن قوة الخلافة العباسية، في حين لما ضعفت الخلافة لم تتمكن من التصدي لتلك النزعة الاستقلالية التي تمخض عنها ظهور العديد من الدول المستقلة في المشرق والتي يمكن تصنيفها بحسب الانتماء العرقي لها وهي: الدول العربية (الحمدانية، المرداسية، العقيلية)، والدول الفارسية (الطاهرية، الصفارية، السليمانية، البويهية)، والدول التركية (الغزنوية، الأتراك السلاجقة، الخوارزمية، الغورية، سلطنة دلهي الإسلامية).

وقد تميزت الدويلات المستقلة في المشرق عن مثيلاتها في المغرب بولائها للخلافة العباسية وحرصها على أن تعترف الخلافة بشرعيتها، وفعلا لم تستطع الخلافة العباسية الحفاظ على مركزيتها في كل أقاليم الدولة الإسلامية، واعترفت بتلك الدول حتى تضمن بقائها، وفعلا الرغم من الضعف والوهن ظلت قائمة إلى غاية منتصف القرن الهجري السابع.

1- الدولة الحمدانية (317 - 394هـ / 929 - 1003م):

يرجع أصل الحمدانيون إلى العرب العدنانية، وهم بطن من بطون قبيلة تغلب بن وائل أعظم بطون ربيعة بن نزار، كانت مواطنهم في بادية الشام بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين وتعرف ديارهم بديار ربيعة.

كان بنو تغلب ولمجاورتهم للروم البيزنطيين يدينون بالنصرانية، وقد شاركوا العرب في فتح العراق بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني سنة 13هـ كما أنهم كانوا ضمن جيش سعد بن أبي وقاص وحاربوا معه في تكريت سنة 16هـ.

اعتنقت قبيلة تغلب الإسلام وجزء منها بقي على المسيحية، وكانت هذه القبيلة من القبائل المخلصة للدولة الأموية، حيث شاركتها في حروبها ضد الخوارج سنة 77هـ/696م، لكن بعد قيام الدولة العباسية ضعف شأن قبيلة تغلب مثل بقية القبائل العربية الأخرى، هذا ما شجعها في العصر العباسي الثاني في القيام بمشروع الاستقلال عن الخلافة العباسية خاصة وأن تلك المنطقة آنذاك كانت تفتقر إلى سلطة مركزية تواجه الدولة البيزنطية التي استعادت في تلك الفترة قوتها وعرفت حركة إحياء وانتعاش.

وبذلك كان قيام الدولة الحمدانية كدولة حاضرة في منطقة إقليم الجزيرة ضرورة ماسة استدعتها ظروف ضعف الدولة العباسية في عصرها الثاني وعجزها عن حماية هذه المنطقة الحدودية من الخطر البيزنطي المتربص.

خاصة وأن الدولة البيزنطية كانت قد عرفت صحوة منذ النصف الثاني من القرن 3هـ/9م في عهد الأسرة المقدونية، فكانت تملك القوة الكافية لمجابهة المسلمين، فاعتزمت على استرداد بلاد الشام وتدمير القوة الإسلامية على الأقل على مستوى منطقة الثغور.

بدأ الحمدانيون بمشروعهم الاستقلالي عن مركز الخلافة العباسية منذ سنة 260هـ/873م، حين بدأ بروزهم على مسرح الأحداث فقام جدهم حمدون الحمداني بدور مهم في الحوادث السياسية التي وقعت في الموصل السنة ذاتها، لكن وقع خلاف بينهم وبين الخليفة العباسي المعتضد بالله (279-289هـ) سنة 281هـ حول قلعة ماردين جعل حمدون يفر من أمام الخليفة بعض الوقت، ثم ما لبث أن زال هذا الخلاف وأصبحت العلاقة بينهما جيدة.

واشتهر الحسين بن حمدون أيضا في حربه مع القرامطة، لكن لسوء الحظ وقع خلاف بينه وبين الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ) أدى إلى سجنه، وقد استمر الحسن في سجنه حتى توفي سنة 306هـ/918م.

كما رأى الخليفة المكتفي (289 - 295هـ) الاستعانة بجهود الحمدانيين فعين أبا الهجاء (عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي) على الموصل سنة 292هـ/ 905م إلى 317هـ، وكان قد أحسن السيرة في أهلها وأمنت البلاد والسبل في عصره، وقد ساعده في ذلك ابنه الحسن وذلك ابتداء من سنة 308هـ/ 920م، الذي تمكن بعدها من بسط سيطرته على الجزيرة كلها وعلى شمال سوريا أي على منطقة ديار بكر وديار ربيعة معاً، واستمر نفوذه بها حتى وفاته سنة 358هـ/ 968م.

وبسبب ضغوطات سياسية اضطر الخليفة العباسي المتقي لله (329- 333هـ) إلى ترك بغداد والفرار باتجاه الموصل مع أمير الأمراء ابن رائق، هنا استغل الحسن بن حمدان هذه الظروف لصالحه وتخلص من ابن رائق، ورافق هو الخليفة العباسي إلى بغداد ليتولى بعدها منصب أمير الأمراء ولقبه الخليفة بلقب ناصر الدولة ولقب أخاه بلقب سيف الدولة.

إعلان الاستقلال وقيام الدولة:

اتفق ناصر الدولة مع العباسيين سنة 332هـ/ 943م على أن تكون البلاد من الموصل إلى الشام ملكاً له، ومن جهة أخرى كان سيف الدولة بدوره يتطلع إلى الاستقلال وصرح بذلك لأخيه ناصر الدولة، فقال له هذا الأخير " الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك".

وبهذا بدأ سيف الدولة يخطط بذكاء مستغلاً الخلاف القائم في حلب بين واليها والكلابيين الذين وعدوه بتسليم المدينة، وفعلاً سار سيف الدولة إلى حلب ودخلها سنة 333هـ/ 944م، لكن دخول الحمدانيين إلى حلب فتح عليهم نار العداء مع الأخشيدي ونشبت حروب بين الطرفين انتهت بالاتفاق بين الطرفين على أن تبقى حلب وحمص وأنطاكية لسيف الدولة .

وكانت الدولة الحمدانية في حلب شبه مستقلة عن الخلافة العباسية منذ سنة 333هـ، تعلن ولائها بالخطبة، وقد رضيت الدولة العباسية بذلك لأن الدولة الحمدانية قد أخذت على عاتقها قتال البيزنطيين وحماية ثغور الدولة الإسلامية.

الحمدانيون في الموصل وطموح التوسع:

حاول الحمدانيون وبعد أن عظم نفوذهم بالموصل الاستئثار بالسلطة في بغداد والقضاء على النفوذ التركي والفارسي فيها في عهد الخليفة المتقي، لكن ناصر الدولة جوبه بمقاومة الأتراك وعلى رأسهم توزون، ففشلت محاولته.

لكن عندما دخل البويهيين الفرس إلى بغداد سنة 334هـ تغير ميزان القوى حيث كانت سياسة هؤلاء ترمي إلى الحد من نفوذ الحمدانيين، ومن ثم حدث خلاف بين الطرفين سرعان ما تحول إلى قتال، حيث سار معز الدولة إلى الموصل ونصيبين وتمكن من الاستيلاء عليهما سنة 347هـ، واضطر ناصر الدولة عندها اللجوء عند أخاه سيف الدولة في حلب.

استطاع سيف الدولة أن يعقد الصلح بين أخيه ومعز الدولة البويهي على أن يضمن له أداء الأموال الواجبة على أخيه، وبموجب هذا الصلح استطاع ناصر الدولة العودة إلى ولاياته التي كان يحكمها في إقليم الجزيرة سنة 348هـ.

وظل هذا الصلح قائماً بين الطرفين حتى سنة 352هـ، حين طلب معز الدولة البويهي من ناصر الدولة أن يزيد في الأموال التي يرسلها إليه، فلم يجبه ناصر الدولة إلى ذلك، فاشتعلت الحرب بينهما من جديد، وبسبب ضعف عدته اضطر ناصر الدولة الفرار أمام قوات البويهيين الذين تمكنوا من الاستيلاء على الموصل ونصيبين وغيرهما من بلاد ناصر الدولة.

لكن أبا تغلب بن ناصر أرسل إلى المعز البويهي يطلب الصلح والتعهد بدفع المال المقرر على أبيه فوافق معز الدولة على ذلك، واستطاع أن يسترد بموجب ذلك الموصل وديار ربيعة.

وبعد وفاة ناصر الدولة الحمداني سنة 358هـ أخذ نفوذ الحمدانيون بالجزيرة في الضعف بسبب اختلاف أبنائه على الحكم، ف وقعت الحرب بين حمدان بن ناصر الدولة وأخاه أبا تغلب، وكان النصر حليف هذا الأخير سنة 360هـ.

وفي عهد أبي تغلب تعرضت دولة الحمدانيين لهجمات الروم ووصلت قواتهم إلى نصيبين وديار بكر، وكذلك استولى عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي على الموصل وديار ربيعة وميفارقين.

وبعد وفاة أبي تغلب سنة 369هـ ازداد ضعف الدولة الحمدانية أكثر، ما مكن الأكراد من الإغارة على بعض مدن إقليم الجزيرة في أواخر القرن 4هـ، فضلاً عن طمع رعاياهم من عرب بني عقيل الذين كانوا يدفعون لهم الإتاوة ويخرجون معهم في الحروب في الدولة الحمدانية مستغلين ضعف حكامها، فاستولى أمير بني عقيل أبو الدرداء محمد بن المسيب على نصيبين سنة 379هـ وعلى الموصل في العام التالي، وقد أقره البويهيين عليهما، ثم عزلوه سنة 382هـ، غير أن أخاه المقلد

بن المسيب تمكن من استعادة الموصل سنة 386هـ، وأسس بها دولة عربية أخرى مستقلة هي دولة العقيليين (بني عقيل) التي ظلت قائمة حتى سنة 489هـ.

الحمدانيون في حلب بين مجابهة البيزنطيين وطموح التوسع:

لم يكن سيف الدولة الحمداني تابعا للدولة إلا اسميا، ولم يكلف نفسه بدفع أية مقررات مالية لأنه اعتبر نفسه في جهاد مع البيزنطيين.

كما أن قوته جعلته يطمح في التوسع وضم دمشق إلى دولته مما اضطره إلى الدخول في حروب مع الأخشيديين ولاة الدولة العباسية في مصر والشام، وفي كل مرة يعقد صلحا معهم على شروط أهمها الاحتفاظ بحلب وما يليها من بلاد الشام شمالا في حين يدفع الأخشيديين مبلغا من المال كل عام لسيف الدولة.

وما ميز عهد سيف الدولة هو حروبه مع البيزنطيين والدفاع عن ثغور الدولة التي تحول دون تقدمهم إلى الحدود الشمالية لدولته وقيل أنه غزى بلادهم المجاورة لبلاده 40 غزوة انتصر في بعضها وفشل في البعض الآخر، ولولا شجاعته لسقطت بلاد الشام في أيديهم خاصة وكانت الدولة العباسية تعاني من التفكك والضعف.

توفي سيف الدولة سنة 356هـ وخلفه ابنه سعد الدولة الذي ضعفت الدولة في عهده بسبب المنازعات الداخلية التي شملت البلاد بسبب الحكم، فضلا عن تهديد النفوذ الفاطمي في الشام آنذاك لدولته.

توفي سعد الدولة سنة 318هـ وخلفه ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل الذي حاول الفاطميون في عهده الاستيلاء على حلب لكنها ظلت صامدة في يد الحمدانيين لولا تعرض سعيد الدولة لمؤامرة دبرها مولاه لؤلؤ؛ الذي طمع في الحكم وقتل سيده سعيد الدولة وانتزاع الولاية لنفسه من أبناء سعيد الدولة، ونقل الحكم إلى أسرته فأرسل سائر أفراد البيت الحمداني إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة، ونقل الخليفة من العباسيين إلى الفاطميين بحيث دعا للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وبذلك امتد سلطان الفاطميين إلى حلب واستطاعوا إنهاء النفوذ الحمداني فيها.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
- ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية.
- الطبري: تاريخ الرسل والملوك.

- أحمد الشريف وحسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي.
- عصام الدين عبد الرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة في المشرق.
- مسعود أحمد مصطفى: أقاليم الدولة الإسلامية.